جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

الإبل في الرسوم الصخرية في ظفار، عُمان
كيف ولماذا؟

علي التجاني الماحي

قسم الآثار
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس

تاريخ الاستلام: ٢٠١٢/١٢/٢٣
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٣/٠٧/٠٩

الإبل في الرسوم الصخرية في ظفار، عُمان
كيف ولماذا؟

علي التجاني الماحي

مستخلص

يعد إقليم ظفار في جنوب عمان غنيا بالرسوم الصخرية التي تصور مشاهدها الإبل بقدر كبير. هذا البحث يبحث في هذه الرسوم الصخرية ومدلولاتها الثقافية. والبحث يفحص مشاهد الإبل، ليسلط الضوء على تفاصيلها، فلو لم يكن للإبل دور في حياة المجتمع الإنساني، لما شغل الفنان القديم نفسه بعمل هذه الرسوم. وبالإضافة إلى ذلك، يعمل البحث على الاستعانة بدراسة مجتمع رعاة الإبل في إقليم ظفار الأثنو-أثرية ethnoarchaeological study **ليؤسس بعض المقارنات ويفسر أهمية هذه المشاهد وإيضاحاتها. والبحث ينظر إلى هذه المشاهد الصخرية على أنها تماثل لثقافة الإبل التقليدية في ظفار، ولدورها في الاقتصاد والتجارة والاتصال.**

الكلمات الدالة: الجمال، ظفار، الرسوم الصخرية، أثار، الأثنو-أثرية، عُمان

Camels in Rock Art Scenes in Dhofar

Ali Tigani ElMahi

Abstract

The region of Dhofar in southern Oman is rich in rock art scenes that widely portray the camel. This paper examines these rock art scenes and looks into their cultural signification. It examines the camel scenes to highlight this animal's characteristics and its role in the economy, trade and transport. Furthermore, the paper draws from an ongoing ethnoarchaeological study to establish certain analogies in order to explain the significance of these scenes and their denotation. The study regards the scenes as a representation of a wide spread rock art camel culture that parallels traditional camel culture in Dhofar.

Key words: Camels, Dhofar, Rock Art, Archaeology, Ethnoarchaeology, Oman

«الفن لا يعيد إنتاج المرئي، بل يجعله مرئيا»

Paul Kle , Inward Vision (1958)

المقدمة

الفن خيط رئيس في نسيج شخصية الإنسان. فقد جعل الإنسان للفن فنونا بأشكال متعددة وأنماط مختلفة، حاضرة في شخصية الإنسان الذي يطرب حتى من نظم الكلمات وإيقاعها ومعناها قوة، ورقة، وحكمة، وموعظة. وهذه الفطرة الإنسانية التي تستجيب طربا واستحسانا للأصوات والألوان وأوزان الكلمات، صنعت لكل شيء منها معيارا وثقافة. وعليه لا غرابة في أن يرسم الإنسان منذ فجر الإنسانية على جدران الكهوف والمظلات الصخرية. فالرسم إحدى امتدادات حاجة الإنسان الوجدانية والنفسية تعبيرا وإثباتا لذاته وطربا لأحاسيسه بالألوان وظلالها التي يقودها الخط المرسوم إبداعا. والرسم أيضا تعبير لحاجة ماسة في الإنسان، فالإنسان رسم ما شاهده، وما تفاعل معه في نطاق جغرافية البيئة التي عاش فيها. وكان هذا قدرا لابد من الاستجابة له. فالخطوة الأولى في قدر الإنسان أنه رسم ما شاهده من أشياء ملموسة في رسوم تصويرية، وفي مرحلة لاحقة وامتداد لها، رسم الإنسان الأصوات، فكانت الكتابة.

في إقليم ظفار بسلطنة عمان، سلسلة من الجبال تقع في نطاق رياح المنسون الموسمية. وفي هذا النطاق الجغرافي توجد مجموعة من الرسوم الصخرية المتعددة المشاهد، ومن بين ما تصوره هذه الرسوم بشكل بارز الإبل. قام الشحري (الشحري ١٩٩٤) بتوثيق هذه الرسوم في مؤلف باسم «ظفار كتاباتها ونقوشها القديمة». كما تناول الماحي (ElMahi 2000 and 2001، 2010، 1997) دراسة وتحليل بعض من جوانب هذه الرسوم ومدلولاتها مثل التأقلم البيئي، وصيد الوعل النوبي، والرموز الثقافية. ومن هنا يأتي موضوع هذا البحث لدراسة مشاهد للإبل في الرسوم الصخرية في إقليم ظفار. والإبل في الرسوم الصخرية بإقليم ظفار متنوعة في مشاهدها بالقدر الذي يجعل الانشغال العلمي بها مشروعا.

بالفعل تحتل الإبل حيزا كبيرا في الرسوم الصخرية بإقليم ظفار. فقد عمل الفنان القديم في مناطق مختلفة من هذا الإقليم على رسم الإبل وتجسيدها في جميع رسومه. هذا ولم تحظ هذه الرسوم بدراسات تحليلة وفيرة تقرأ فيها وتفك رموزها. فكما سنبين لاحقا انبرى لمثل هذه الدراسات نفر قليل. والمطلع على الرسوم الصخرية في عمان، يجد أن الحيوان قد استحوذ على قدر ومساحة كبيرة من هذه الرسوم.

هذا البحث يطرح سؤالا مشروعا، تمهد بالإجابة عليه لفهم كيف تم تنفيذ هذه الرسوم الصخرية للإبل في إقليم ظفار، ولماذا تشغل الإبل حيزا كبيرا في هذا الفن القديم في أقليم ظفار. والسعي في الإجابة عن سؤالنا الأخير قد يتيح لنا الوقوف على مدلولات هذه الرسوم الصخرية ومعانيها. وعليه فهذا البحث منشغل ويطرح سؤالا مشروعا، لماذا شغل الفنان القديم نفسه برسم الإبل بهذه الوتيرة. وكما علمتنا التجربة، فإن الرسوم الصخرية قد تمد الباحث بمعلومات قد لا تمنحها مصادر أثرية أخرى. فالرسوم الصخرية قد تكون أكثر دلالة من الدليل المادي الذي تكشف عنه الحفريات الأثرية.

ولكن قبل الشروع في هذه المحاولة، علينا ان نتعرف علي إقليم ظفار الجغرافية والتاريخ، والرسوم الصخرية كمصدر من مصادر علم الآثار، ثم البحث والمنهج الذي يتخذه هذا البحث، وصولا لتحليل يجيب عن سؤالنا، و نرجح به لماذا تحتل الإبل حيزا في الرسوم الصخرية وفي شأن الإنسان في إقليم ظفار آنذاك.

إقليم ظفار الجغرافية والتاريخ

النظر إلي إقليم ظفار من خلال مقولة أبي التاريخ هيرودودس أن «الجغرافية أم التاريخ»، يفسح المجال لفهم تفاعل الإنسان وتأقلمه مع الظروف البيئية والجغرافية التي أحاطت به دوما. فالجغرافية المشار إليها هنا هي الموقع الجغرافي، والمناخ و البيئية الحيوية، وتضاريس الأرض وموانعها، ومسالكها المتصلة، البرية والبحرية. والجغرافية هي المؤثر والموجه الرئيس في مسرح التفاعل الإنساني اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا. والجغرافية بمعناها الشامل هي الآمر والناهي في توجه المجتمع الإنساني وتطور اقتصاده وثقافته وتداخله الاجتماعي مع بيئتها الحيوية وعواملها المختلفة. وبالنظر في تاريخ إقليم ظفار الممتد، نجد أن الجغرافية قد لعبت دورا كبيرا وهاما في تشكيل تأقلم الإنسان وتفاعله مع معطيات هذه البيئة وخصوصيتها، ومع توجهات اقتصاده وثقافته ومجتمعه. ولإقليم ظفار الذي يقع في جنوب الجزيرة العربية خصوصية مناخية فريدة. فهذا الإقليم في جنوب عمان يتميز بجيب مناخي فريد، تتسبب في تكوينه رياح المنسون التي تهب على جبال ظفار فيما بين شهري يوليو وسبتمبر(خارطة ١). وتتسبب هذه الرياح الموسمية عند تصادمها مع جبال ظفار، في هطول أمطار ورذاذ طوال الفترة المذكورة. يؤدي رذاذ الماء والأمطار إلى انتعاش الغطاء النباتي واخضراره على امتداداته في السهل الفسيح ومدرجات التلال، وسفوح سلسلة جبال ظفار المطلة على بحر العرب، مكونة بذلك بيئة استوائية فريدة في موضع كالجزيرة العربية.

في ظل هذه الظروف البيئية ومواسمها يعود تاريخ الإنسان وتأقلمه إلى أزمان بعيدة. فالأدلة الأثرية التي تشير إلى هجرات الإنسان من القارة الإفريقية إلى جنوب الجزيرة العربية، قد تم التعرف عليها في ظفار وغيرها من المواضع الجغرافية في ذلك الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية. ويعتقد أن مضيق باب المندب قد سهل عبور الإنسان (Homo erectus) من الأراضي الإفريقية إلى العربية. هذا ويرجح بأن الإنسان (Homo sapiens) قد وصل إلى منطقة ظفار في حوالي ١٠٠،٠٠٠ عام من الحاضر (cf. Zarins 2001:154). ومما لا شك فيه أن رياح المنسون الموسمية قد لعبت دورا كبيرا في نشأة تقاليد العصر الحجري الحديث في حوالي الألف السابع قبل الميلاد، فقد عثر على أدوات حجرية تحتوى على نصال رؤوس سهام في كل من ظفار وشمال عمان، يعود تاريخها للفترة الأولى (Period I) (Zarins 2001: 34). كما يرجح أن التسلسل الزمني لتقاليد العصر الحجري الحديث، يعود إلى الفترة المطيرة من الهوليسين في أواخر الألف السابع وأوائل الألف السادس قبل الميلاد :Mirkhanov 1994

226). ومن ناحية أخرى، يشير الباحث زرنس (Zarins ibid) إلى أنه يمكن أن يؤرخ للفترة الثانية من العصر الحجري (Period II) بحوالي ٣٨٠٠-٥٠٠٠ قبل الميلاد. أما الفترة الثالثة من ذات العصر، فيعتقد أن تاريخها يعود إلى ٢٣٠٠-٣٥٠٠ قبل الميلاد. كما يرجح أن النظام الرعوي الذي يتبع الترحال والتنقل، قد ظهر في مرتفعات جبال وتلال ظفار في حوالي ٦٠٠٠ قبل الميلاد (Zarins 2001:50 & 154). كما يعتقد أن تجارة القوافل والمحار البحري، قد ربطت بين المناطق الساحلية والمناطق الداخلية مثل منطقة النجد، وذلك خلال العصر الحجري الحديث. كما أن حركة الترحال الموسمية (transhumant seasonal movements) قد نشطت خلال هذه الفترة بين الربع الخالي ومنطقة النجد في ظفار (Zarins ibid). ويبدو أن إقليم ظفار بدأ من فترات ما قبل التاريخ وحتى العصور الوسطي، وقد شهد على أحداث وتفاعلات عديدة، من أهم نشاطاتها حركة التجارة في اللبان Boswellia sacra، التي حازت على أهمية اقتصادية امتدت على عصور طويلة في ظفار (Zarins2001:55).

الرسوم الصخرية المصدر الأثري

تنوّعت المداخل التي تناولت الرسوم الصخرية الأثرية، واختلفت شواغلها دون أن تخضعها مدرسة فكرية بعينها للتحليل، أو تفك رموزها، أو تعكس رؤيتها بشكل جامع ومتكامل. فالرسوم الصخرية الأثرية كثيرة الأركان، وموضوعاتها متباينة، ومتداخلة بشكل يجعل القراءة فيها من أصعب المهام في العمل الأثري. وصعوبة قراءة الرسوم الصخرية وتحليلها، يعود فقط إلى ما تحمله من كثافة نشاط الفنان القديم وتنوع مشاغله واهتماماته التي تعكس حراك ذلك المجتمع القديم الذي ينتمي إليه الفنان. وهذه الرسوم أيضا دالة على حضور صاحبها في الفن والمجتمع، وضلوع فنانها في أنشطة عديدة مما يعكسه هذا الفن الصخري القديم. فقد شغلت الرسوم الصخرية بموضوعاتها المتأمل في فنها، والدارس لها، كما أنّ إشكالاتها دائما مشروعة، والآفاق التي تفتحها أمام الدارسين محدودة.

رسم الإنسان في عمان منذ القدم على سفوح الصخور في الكهوف والوديان. واختار هذا الفنان مشاهد متعددة ومتباينة من حراك المجتمع وشواغله الحياتية واليومية .فصور النشاط الإنساني بأنواعه، ومكونات البيئة، فرسم الحيوانات المستأنس منها والبري، والنباتات خاصة الأشجار، ثم عكس تفاعل الإنسان مع الإنسان في أكثر من مشهد. وامتدت هذه الرسوم الصخرية، على الامتداد الجغرافي والزمني لعمان.

وإذا ما أحسن تحليل هذا المصدر المعلوماتي، وأصابت تفسيراته، فقد تكون له مساهمات جزئيّة وجوهريّة في إضافة معرفية نوعية عن مجتمعات ما قبل التاريخ في عمان، وغيرها من أقطار الجزيرة العربية. فدراسة وتحليل الرسوم الصخرية ساهمت بشكل في إبراز جوانب هامة لهذا الفن القديم وفلسفته،والأنشطة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعات ما قبل التاريخ. والرسوم الصخرية أيضا وعاء يحمل التجربة الإنسانية للمجتمع وثقافته المعنوية ومعتقداته الروحية، وممارسته لطقوسها ورموزها. والناظر للرسوم الصخرية، والمتأمل فيها، يجد هذا الجانب الثقافي الروحي بين يديه، إلا مفاتيح تشخيصها بدقة وخيوط تفسيرها فإنها تصعب على من لا يلم بثقافة ذلك المجتمع الذي رسم فنانه هذه الرسوم. وعليه نجد للدراسات التي تعتمد التماثل (Analogy) مع ممارسات المجتمعات التقليدية منهجا في قراءة الرسوم الأثرية وتشخيصها، حظا أوفر في ذلك.

وعلي الرغم من ثروة عمان من الرسوم الصخرية، ونوعية المعرفة الإضافية التي ساهم بها هذا المصدر الأثري في كشف صور من نشاطات وثقافة وحراك المجتمعات الإنسانية القديمة، يبقى لهذا المصدر إشكاليات بينة تفرض علينا حيرة علمية مشروعة. وأولى هذه الإشكاليات عدم توفر وسيلة علمية للعاملين في دراسة هذا المصدر الأثري، تمكنهم من أن يؤرخوا لهذه الرسوم ويحددوا أزمانها بدقة. فلو توفرت مثل هذه الوسيلة لتمكن العمل الأثري من تحديد تواريخ تلك المجتمعات ونشاطاتها المختلفة التي قام الفنان القديم بتصويرها.

وهنالك إشكالية أخرى تطل على هذا المصدر الأثري الهام تتجلى في قلة الدراسات الأثرية التي تناولت هذا المصدر, فالبرغم من الامتداد الجغرافي والزمني للرسوم الصخرية في عمان، انبرت دراسات محدودة لهذا الفن القديم، وهذا المصدر الأثري الهام. إضافة إلى هذه الإشكاليات المشروعة، ظلت الرسوم الصخرية مصدرا مهما من مصادر علم الآثار، يحمل معلومات نوعية لفترات ما قبل التاريخ.

ولا شك أن هذا العمل يدفعه الواقع المعيشي للفنان، والذي قام بنقل تفاصيل حراك بيئته الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. ويتطلب الأمر هنا أن نوضح انشغالنا بجانب مصداقية الفنان في رسمه، وعلمه وإدراكه بما يختار من مشاهد لحراك مجتمعه، ليرسمها علي سفوح الصخر وجدران الكهوف. فقد أكدت دراسة للرسوم الصخرية في ظفار على مصداقية هذا الفنان في نقل صورة واقعية من واقع البيئة المعيشة في جبال ظفار آنذاك (الماحي ١٩٩٧). أما مسألة علمه وإدراكه، بما يرسم، فقد خلص تشخيص الماحي (٢٠١٠) إلى هذا الجانب في الآتي: «وعليه تكون الرسوم الأثرية دلالة وأفعالا محكمة تدل على علم فاعلها ومراده في ذلك الزمان البعيد». ولكن قبل الولوج في الرسوم الصخرية للإبل في ظفار، علينا أن نتعرف على المنهج الذي سينتهجه هذا البحث في دراسة الرسوم الصخرية للإبل في إقليم ظفار.

منهج البحث

المنهج الذي يتبعه البحث في دراسة وتشخيص هذه الرسوم الصخرية، يستند على منهج يعرف باسم اللقطات الفوتوغرافية (snap shots). هذا وقد نفذ هذا النهج لأول مرة في عدد من الرسوم الصخرية في عمان (الماحي ١٩٩٧و ٢٠١٠) و (2000a and 2000b ElMahi) ويقوم هذا النهج (snap shots)، ويعمل على الفهم الذي يستند علي المعطيات الآتية:

أولا: يحدد و يعرف المشهد الواحد الذي تحمله الرسوم الصخرية وتعكسه.

ثانيا: ينظر ويتعامل مع هذا المشهد على أنه مشهد قام باختياره الفنان الذي نفذ الرسوم.

ثالثا: أن الاختيار الذي قام به الفنان القديم لهذا المشهد، جاء من جملة مشاهد ممتدة في بعد زماني ومكاني (الماحي ٢٤:١٩٩٧و٢٠١٠، ElMahi 2000a and 2000b).

وعلى الرغم من أن فن الرسم قيمة جمالية وإبداع، فإنه قد يبرز العلاقة بين مكونات المشهد ويوضحها. ومن ناحية أخرى، يجسم التفاعل بين المكونات،ويطرح رؤية مرئية لم تلتقطها العين المجردة في الواقع والطبيعة. وفن الرسم يقدم القيمة البيئية، والجغرافية، والمساحية مجسمة. فالفن في عمومياته ما هو إلا منظار لواقع المكان والزمن.

إن المقولة التي ذهب إليها الفنان التشكيلي بول كلي (Paul Klee)، بأن "الفن لا يعيد إنتاج المرئي، بل يجعله مرئيا"، مقولة صائبة، وتمهد لطرح المنهج المتبع في هذا البحث والمعروف باسم اللقطات الفوتوغرافية (snap shots). وتجدر الإشارة هنا بأن هذا المنهج قد طرح لأول مرة في عام ٢٠٠٠م، وذلك حينما أتبع في دراسة رسوم صخرية لصيد الوعل النوبي في إقليم ظفار، ورسوم صخرية أخرى في جبل سحتن بالجبل الأخضر في شمال عمان (ElMahi 2000a and 2000b). وهذا النهج ينظر إلى الرسم الصخري ويعده لقطة واحدة أو مشهدا واحدا من مجموعة مشاهد لنشاط ممتد حدث وشغل حيزا زمنيا ومكانيا في الماضي. اختار الفنان من هذا النشاط الممتد، هذه اللقطة أو المشهد ليعبر به عن الحدث الرئيسي الذي حدث في تسلسل زمني وفي مكان ما. وعليه يمكن القول بأن الفنان القديم قد اختار مشهدا أو لقطة واحدة من نشاط أو حدث ممتد في حيز مكاني وزماني. اختار الفنان القديم مشهدا واحدا ورسمه ليمثل ويقدم به ذلك النشاط أو الحدث الممتد في حيز من زمان ومكان (cf. ElMahi 2000a and 2000b). ومن هنا يمكن القول مرة أخرى، بأن الفنان القديم لم يقم بإعادة إنتاج ما هو مرئي له في ذلك الزمان والمكان، بل جعله مرئيا لكل ناظر لعمله عبر الزمان. وانطلاقا من هذا الفهم واستنادا إلى هذا المنهج، سيتم التعامل مع الرسوم الصخرية، موضوع هذا البحث على أنها لقطات أو مشاهد تعكس نشاطا وحدثا تم في حيز مكاني وزماني. فما تعكسه رسوم الإبل هو جزء من نشاطها الذي اختار منه مشهدًا واحدًا ليعبر به عن دورها ونشاطها الذي قادة الإنسان.

الرسوم الصخرية كيف؟

كما أسلفنا، تنفرد جبال ظفار في سلطنة عمان بقدر من الرسوم الصخرية تميزها عن رصفائها في الجزيرة العربية من حيث الكم والكيف. تتميز رسوم الإبل في إقليم ظفار بكثافتها ووتيرة تكرارها العالية. وجل الرسوم الصخرية في ظفار، تم تنفيذها باللون الأسود، ورسم واحد قد نفذ بواسطة الطرق (Picking) في السطح الصخري (الشكل ١). وفي طبيعتها ما انفكت هذه الرسوم الصخرية تحمل الكثير من المعاني، ومثقلة بالرموز الثقافية التي لم تدرس أو تفك طلاسمها. هذا وقد جسدت الرسوم الصخرية بظفار الكثير من الأنشطة الإنتاجية والرموز الثقافية وعناصر البيئة الحيوية من نبات وحيوان وتفاعل الإنسان معها. ومن أبرز إسهامات الرسوم الصخرية بظفار تصويرها لأوجه الحياة والنشاطات البشرية في أوضاع مختلفة، وخاصة وتيرة مشاهد الإبل وتنوعها.

ورد في التوثيق الذي قام به الشحري (١٩٩٤) للرسوم الصخرية في كهوف ظفار ومظلاتها الصخرية واحد وثلاثون رسما للإبل. فقد ورد في لوحات بالأرقام الآتية في الشحري (١٩٩٤: ٥٥ ، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٦،٩٧، ٩٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٣، ٢٣١).

ويمكن تصنيف مشاهد الإبل، بغية دراستها وتحليليها هذه الرسوم، وذلك وفقا لظهورها على النحو الآتي:

١- رسوم للإبل ورجال تمتطي ظهورها، وقد زينت ركابها (الشحري ١٩٩٤: لوحة ٥١، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٩٧).

٢- رسوم إبل تحمل على ظهورها أثقالا ومتاعا، وقد زينت ركابها (الشحري ١٩٩٤:لوحة ١٩٩، ٢٠٠، و لوحة كتاب الجن موقع ٢٨، ٢٩، ب-٢) (الشكل ٤).

٣- إبل منفردة: (ا لشحري ١٩٩٤:وحة ٥٥، ٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣ ، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨ نحت، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٣١) (الشكل ٥).

٤- إبل مع حيوانات مستأنسة، ومثال ذلك (الشحري ١٩٩٤:لوحة ١٧٤، ١٧٨) (الشكل ٦ و ٧).

٥- إبل كثيرة مع حيوانات برية، مثال ذلك (لوحة موقع (٢٩ و ٢٨) منطقة رقم (٣و٢) (ج) (الشكل ٨).

هذه الرسوم جميعها قد رسمت باللون الأسود، وما من شك بأن الفحم عنصر رئيسي في تركيبتها. هذا و بالإضافة للفحم لابد من إضافة مادة لاصقه مثل عصارة النبات المعروف في إقليم ظفار محليا بأسم "هيوك" Euphorbia smithii . وعصارة هذا النبات الموجود في إقليم ظفار على نطاق واسع، وهى مادة لاصقة، خاصة بعد أن تجف (ElMahi ٢٠١١:٧٤). وعصارة هذا النبات كثيرة الاستعمال وفي أغراض مختلفة. وعليه نرجح أن مادة لاصقة مثل عصارة قد استعملت لتثبيت اللون الأسود على السطح الميكانيكي لجدران الكهوف في إقليم ظفار. ومن هنا بمكن القول أن النبات من المكونات الأساسية في هذه الرسوم.

كما يلاحظ أن هذه الرسوم تم رسمها بخط الأحادي، ثم تم تغطية المساحة المرسومة أو الشكل باللون الأسود نفسه، الذي نفذ به الخط الأحادي. أما الرسم في (الشكل ١)، فيرجح بأنه قد تم رسمه بأسلوب الطرق.

تحتوي مشاهد الإبل على نوع من الكتابات كتبت على جنبات اللوحة. قام الشحري (١٩٩٤: ٢٩-٣٠) بتوثيق هذه الكتابة التي وجدها في ١٤٥ موقعا في جبال ظفار. وأشار إلى أن هناك تشابهًا بين الحروف التي نفذت كتابتها وفقا للنسب المئوية والألوان الواردة في الجدول رقم (١).

ومن الملاحظ أن هذه الكتابة كتبت بحروف غير معروفة للمتخصصين في الكتابات القديمة. كما يبدو أنها دونت على سفح الجدران الصخرية وفقا لمنهجية غير معروفة. وعليه تظل هذه الكتابة في انتظار من يفك رموزها ويقرأ ما تحتويه من معلومات

عن أهلها وهويتهم.
اما عن تاريخ هذه الرسوم، فلا توجد وسيلة متاحة لنا للتأريخ المطلق (Absolute dating) لهده الرسوم الصخرية، إلا أنه من الممكن التأريخ لها تأريخا نسبيا (Relative dating). وهذا النوع من التأريخ يستند للمقارنة ومضاهاة الشواهد الأخرى الموجودة في المشهد، تلك التي يعرف تاريخها. وفي حالة الرسوم الصخرية موضع الدراسة، فهنالك بعد مفيد للتأريخ تحمله هذه الرسوم، وقد يسهم في إضافة جديدة، وتسليط الضوء على تاريخ هذه الرسوم الصخرية. فالرسوم الصخرية في ظفار تحمل رسوما عديدة للحصان، وعلى ظهورها فرسان، وفي أوضاع متعددة (الشحري ١٩٩٤: اللوحة ١٤٠ ((الشكل ٩) . وظهور الحصان في هذه المشاهد له دلالاته في التأريخ لهذه الرسوم موضع دراستنا. فالدليل الأثري المتاح حاليا للحصان في عمان يعود إلى فترة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد والقرن السادس الميلادي ويعرف بفترة سمد . وبدايات هذه الفترة تعرف أيضا بالعصر الحديدي المتأخر (Yule and Weisgerber 1988:33,40).
ونجد أيضا هناك رأيا يرجح أن النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، كانت فترة استعمل فيها الحصان، وربما جرى تناسله في شمال وشرق الجزيرة العربية (Macdonald 1996: 73). وتجدر الإشارة بأن هذا المقترح قد وجد ما يدعمه، خاصة المكتشفات الأثرية التي تم الكشف عنها مواقع الدور ومليحة وسمد في شبه الجزيرة العمانية.
واستنادا لهذا ما ذهبنا إليه، يمكن القول إن تاريخ هذه الرسوم التي تحمل رسما للإبل مع الخيل، لابد أنه قد تم تنفيذه في فترة أقدمها العصر الحديدي المتأخر (٤٠٠ قبل الميلاد- ٦٣٠ ميلاديا). ويجب التأكيد مرة أخرى هنا أن هذا التأريخ المرجح، ما هو إلا تأريخ نسبي، إلا أنه المتاح لدينا حاليا للتأريخ لهذه الرسوم.

الإبل

هذا البحث منشغل بالإبل في الرسوم الصخرية بإقليم ظفار، ويسعى لتشخيص دلالات ومعاني هذه الرسوم، لذلك فينبغي أن نعرض بإيجاز لتاريخ هذا الحيوان في شبه جزيرة عمان.
مازال سجل أدلة الأحفوريات صامتا عن وجود الإبل البرية Prehistoric camelus في عمان، فلا توجد حاليا أدلة واضحة لوجود الإبل البرية في أنحاء عمان المختلفة. أما السجل الأثري، فبدوره لا يخبرنا عن أي اكتشافات تدل بوضوح عن تاريخ الإبل المستأنسة في عمان. والأدلة الأثرية المتاحة للإبل المستأنسة، يرجح عودتها لفترات العصر البرونزي والحديدي (ElMahi and Ibrahim 2003).

جدول (١)

م	اللون المستعمل	النسبة المئوية
١	اللون الأسود	٩٥٪
٢	اللون الأحمر	٤٪
٣	اللون البرتقالي	٠.٧٪
٤	اللون الأخضر	٠.٣٪
	المجموع	١٠٠٪

أما الرسوم الصخرية للإبل، فلا يمكن التأريخ لها تأريخا مطلقا، كما ورد ذكره سابقا في إشكاليات الرسوم الصخرية.
أما عن تاريخ الإبل في جزيرة العرب، فيرجح الباحث زرنس (1989) Zarins استنادا إلي رسوم صخرية، بأن الإبل قد تم استئناسها في الألف الثالث قبل الميلاد في الجزيرة العربية. وحاليا يعد أقدم دليل كشفت عنه الحفريات الأثرية للإبل المستأنسة من طبقات العصر البرونزي والحديدي في موقع تل الأبرق, الذي أرخ له الموقع ما بين ٨٠٠-٩٠٠ ما قبل الميلاد. ودليل أخر كشف عنه في موقع موالحة في إمارة الشارقة، ويعود تاريخه إلى الفترة الثانية من العصر الحديدي (Uerpmann & Uerpmann 2002). ومن ناحية أخرى، وردت أول إشارة تاريخية للإبل في سفر القضاة (سفر التكوين ٢٤:٦٤). فقد ورد في الكتاب المقدس دخول الإبل من شمال الجزيرة العربية إلي كل من منطقة الهلال الخصيب وذلك في فلسطين وسوريا (سفر التكوين ٢٤:٦٤) و (الحتي ٢٠٠٧: ٣١).

الإبل في الرسوم الصخرية لماذا؟

لماذا الرسوم الصخرية للإبل في إقليم ظفار عديدة ومتنوعة في تفاصيلها؟ وتمثل هذه رسوم الإبل بشكل جلي وفي أوضاع متباينة، فهي تارة دابة للركوب يمتطي ظهورها رجال, وتارة تحمل أثقالا ومتاعا، وتارة في المرعي فرادى ومجموعات. وتجدر الإشارة إلى أن كثافة وجود حيوان ما في مشاهد الرسوم الصخرية، له دلالة بينة. فتواتر رسوم هذا الحيوان، بشكل متكرر يعد دلالة على مكانة هذا الحيوان في المجتمع الذي ضمنه في رسومه. ومن ناحية أخرى، يعكس لنا تواتر رسوم هذا الحيوان وتكراره أهميته. وما من شك في أن الإبل التي تبرز رسومها بشكل متكرر في الرسوم الصخرية في إقليم ظفار لأسباب موضوعية، يمكن طرحها في الأتي:

أولا- الإبل أدوات البقاء في البيئات الجافة:
وجوهر واقع الإبل يكمن في أنها تعد إحدى أدوات البقاء للإنسان في البيئات الجافة التي تشح فيها الموارد الطبيعية. فالحيوان المستأنس المنتج الذي يعتمد على الرعي المفتوح في الموارد الطبيعية (الحشائش والماء)، ما هو إلا وسيط بين الإنسان والموارد البيئية المتاحة. هذا الحيوان يقوم بالاستفادة من هذه الموارد الطبيعية، وتحويل الطاقة المستفادة منها إلي لبن ولحم وجلد وشعر. فالإنسان لا يمكن أن يستفيد من الموارد الطبيعية الموجودة في البيئيات الجافة، بشكل مباشر. ولذلك فهو في حاجة لحيوان يمتلك المقدرة علي العيش والاستفادة من هذه البيئة الجافة، التي تشح فيها الموارد الطبيعية. إذن فالحيوان المستأنس ما هو إلا وسيط ناجح في بيئة تقل فيها الموارد.
والرسوم الصخرية التي بين أيدينا تحمل دلالة واضحة لدور الإبل ومكانتها في حياة المجتمع صاحب هذه المشاهد من ظفار. فلا شك أن الإبل هي إحدى أدوات البقاء في تلك البيئة التي عاش فيها مجتمع الرسام قديما. وبنفس القدر، فالاعتماد الكلي على هذا الحيوان في البيئات الجافة، جعل منه وسيلة للبقاء والعيش في ظروف بيئية قاسية تشح مواردها الطبيعية، الأمر الذي يجعل

من الحيوان وسيطا مقدرا بين الإنسان وتلك الموارد الشحيحة. ولولا حيوان مثل الإبل لما استطاع الإنسان قديما وحاليا العيش في بيئات قاسية وجافة. وهذه العلاقة البيئية أي التفاعل البيئي بين الإنسان والإبل والظروف البيئية، جعلت للإبل مكانة خاصة وقيمة اجتماعية واقتصادية عالية. فالإنسان الذي يعيش في البيئات الجافة يعتمد اعتمادا أساسيا في حياته وبقائه على الإبل، فهي الوسيط بين الإنسان وقسوة الظروف البيئية المحيطة به، الأمر الذي يجعل الإبل واحدة من أدوات البقاء في البيئات الجافة.

ثانيا - رسوم الابل يمتطيها رجال:

في تفاصيل رسوم الإبل، نجد رجالا تمتطي ظهورها، وقد زينت ركابها (لوحة ٥١، ٩٢، ٩٤، ٩٨، ١٩٧) (الشكل ٢ و ٣) ولا شك في أنها تعبر عن دور الإبل كدواب للركوب، وخدمتها في نقل الإنسان. فاللوحات التي تحمل رسوما للإبل والرجال على ظهورها، وقد زينت ركابها، لابد أنها تعكس دور هذا الحيوان كوسيلة للتنقل. كما تعكس اهتمام الإنسان بهذا الحيوان، الأمر الذي جعله يزين ركابه. وممارسات المجتمعات التقليدية التي تربي في كل من أفريقيا والجزيرة العربية، تدل على الإنسان يزين ركاب هذا الحيوان، وذلك لأسباب موضوعية. (هنا خلط بين العنوانات فهنا اولا، وثانيا وكذلك في الصفحة السابقة) أولا، هذه المجتمعات تنظر إلى هذا الحيوان على أنه حيوان عزيز وركوبة هامة. ثانيا، يعمل أصحاب الإبل على تزيينها وتجميلها. إذن فالإبل تمتع بمكانة في المجتمع، وهي مصدر افتخار. وما يعزز هذا الرأي هو أن حيوان كالحمار في هذه المجتمعات، وبالرغم قدرته على العمل الدؤوب وخدمته للإنسان، إلا أننا لم نجده وقد زين أو رسم في الرسوم الصخرية.

ثالثا- رسوم الابل تحمل أثقالا ومتاعاً:

أما رسوم التي تحمل على ظهورها أثقالا ومتاعا، وقد زينت ركابها (لوحة ١٩٩، ٢٠٠، و لوحة كتاب الجن موقع ٢٨، ٢٩، ب-٢) (الشكل ٤)، فهي مؤشر على دورها في اقتصاد الاتصال والتجارة. وبالنظر إلى إقليم ظفار، فهو غني بأشجار اللبان sacra Boswellia وإنتاج اللبان. فقد عرف اللبان منذ أوقات مبكرة في فترة الكلاسيكية، حين استعمله الإغريق والروم. فلاشك أن الإبل كانت قديما، محرك اقتصاد التجارة عبر المسافات الطويلة وذلك بحمل البضائع والمنتجات والمتاع عبر مسافات طويلة إلى أسواق ترويجها ومكاسبها الاقتصادية. فالمشاهد التي تشير إلى ذلك نجدها في لوحة (٥١، ٩٢، ٩٤، ١٩٩،٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢).

هذا وقد طرح الباحث يورس زرنس (٦٣: ١٩٩٩) تساؤلا مشروعا حول إمكانية أهل ظفار ومقدرتهم في الماضي على ممارسة تجارة طويلة المدى لتغطي شرقي الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين. وللإجابة عن هذه التساؤلات عمل الباحث زرنس (٧٣-٦٣: ١٩٩٩) علي طرح أربعة شواهد ترى أن أهل ظفار قديما ذهبوا وتاجروا باللبان في مناطق بعيدة من شرقي الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين. والشواهد المشار إليها هنا، تستند إلى واقع التوزيع الجغرافي الممتد لأدلة أثرية في الجزيرة العربية، و يشتمل على «١» رؤوس سهام «٢» الأصداف البحرية «٣» الأدوات المصنوعة من الحجارة الزجاجية البركانية المعروف باسم أوبسيدينobsidian «١» مجموعة من الخرز والأواني المصنوعة من الحجر الصابوني. ويحسب تقدير زرنس (١٩٩٩:٦٣-٧٣) المسافة بين إقليم ظفار وأماكن توزيع هذه المواد الأثرية بحوالي ١٠٠٠ إلي ١٥٠٠ كيلومتر. واستنادا إلى هذا، يخلص زرنس (١٩٩٩: ٦٣-٧٣) إلي أن سكان ظفار في العصر الحجري الحديث، قد شاركوا في شبكة التجارة بين ظفار ومناطق جغرافية في كل من بلاد ما بين النهرين والربع الخالي وغربي وشرقي الجزيرة العربية. كما رجح توافق المسالك والدروب التي اتخذها الإنسان في العصر الحجري الحديث مع تلك الطرق التي ربطت التجارة في العصور التاريخية المتأخرة والحديثة التي سلكها الرحالة في القرن التاسع عشر الميلادي.

رابعا- رسوم أخرى متنوعة:

وكما أسلفنا فالرسوم الصخرية في أقليم ظفار تشمل رسومًا لإبل منفردة: (لوحة ٥٥، ٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣ ، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨ نحت، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٣١) (الشكل ١و ٥).

كذلك هنالك رسوم لإبل مع حيوانات مستأنسة، ومثال ذلك (لوحة ١٧٤، ١٧٨) (الشكل ٦ و ٧). كما توجد رسوم لإبل مع حيوانات برية، مثال ذلك (لوحة موقع (٢٩) منطقة رقم (٢) (ج) (الشكل ٨).

الإبل رأس للمال وقيمة ومعير الثروة في الظروف البيئية التي من خصائصها العامة شح الموارد الطبيعية، وقسوة المناخ والتضاريس، والإبل حيوانات ماهلة بقدر متميز للعيش والإنتاج في مثل هذه البيئات الجافة. وعليه غدت الإبل ومنذ استئناسها في نهايات العصر الحجري الحديث، تمثل قيمة اقتصادية عالية، تعرف اقتصاديا برأس المال. ومفهوم رأس المال كقيمة اقتصادية عرفها الإنسان بعد بدايات عصر الهولوسين (الألف العاشر قبل الميلاد)، عندما تحول اقتصاده من الصيد وجمع الثمار إلي إنتاج الطعام، وأصبح ينتج محاصيل زراعية وحيوانات مستأنسة، مكونة رأس مال.

إذن الإبل تمثل الثروة ورأس المال لملاكها سكان البيئات الجافة. ولولا مكانتها القيمة ودورها الهام، لما رسمها الفنان قديما علي سفح الصخور وجدران الكهوف في ظفار. وعليه نرجح أن الرسوم التي بين أيدينا تمثل قيمة الإبل في دورها المنوط بها، في كونها الثروة ورأس المال. وما يرجح هذا رسوم الإبل منفردة في الكثير من المشاهد ، كما ورد في اللوحات المشار إليها .

خامسًا: الاتصال البشري والتبادل الثقافي

ومساهمة الإبل في نقل البضائع لمسافات طويلة وربط شبكة الاتصال من ناحية، هو تفعيل لحركة التجارة بين إقليم ظفار ومواضع جغرافية بعيدة عن ظفار. ففي ذلك النطاق الجغرافي وغيره، غدت الإبل وسيلة الاتصال الأولى في البر. كل هذا جعل للإبل دورا إضافيا هاما في حركة الاتصال البشري والتبادل الثقافي.

وإذا أخذنا ما خلص إليه زرنس (١٩٩٩: ٦٣-٧٣) من أن شبكة التجارة

في العصر الحجري قد امتدت إلي مسافات شاسعة تقدر بما بين ١٠٠٠ إلي ١٥٠٠ كيلومتر، فما مدي امتداد هذه الشبكة إبان انتشارها وامتداداتها في العصر البرونزي والعصر الحديدي، وما يليهما من عصور. ومما لا شك فيه أن هذا الشبكة التجارية قد ربطت أجزاء كثيرة من جزيرة العرب وخارج حدودها على امتداد العصور. وفي ضوء هذا الامتداد الجغرافي الواسع للتجارة، تبقى حقيقة أكيدة، وهي أننا لا نعلم على وجه التحديد تاريخ الإبل في عمان. وترتب على ذلك إشكاليّات واضحة، وحيرة علميّة مشروعة تتمثل في العديد من الأسئلة التي لم تجد لها الحفريات الأثرية ردا شافيا حتى الآن. فإلى الآن لا نعرف ما إذا تم استئناس الإبل محليا أو أنها دخلت عمان كحيوانات مستأنسة. ,إذا افترضنا أنه تم استئناسها محليا، ففي أي منطقة وتاريخ تم ذلك. وأما إذا دخلت عمان حيوانات مستأنسة، فبنفس القدر لا نعلم كيفية دخولها عمان، ومن أي المناطق الجغرافية سلكت طريقها. هذه إشكاليّات وأسئلة مشروعة، تجعل الباحث ينطلق من مناسبة مبرّرة ومن إشكاليّات واضحة وحيرة علميّة مشروعة.

وعليه فإن من المنطق أن الإبل قد ساهمت مساهمة رئيسية في ازدهار هذه الشبكة التجارية وتوسعها بين ظفار والأجزاء المترامية للجزيرة العربية وما بعدها إلي بلاد ما بين النهرين. واللبان وإنتاجه الذي أشتهر به إقليم ظفار، كان بضاعة رائجة في جميع المناطق الجغرافية التي حملتها الإبل إليها عبر الصحاري والمسافات الشاسعة . فالإبل قد ربطت إقليم ظفار بأجزاء في جنوب وشمال وشرق الجزيرة العربية وغيرها من المناطق. وفضل الإبل هنا أنها صنعت ويسرت لإقليم ظفار دورا اقتصاديا ومكانة تجارية في ذلك الجزء من جزيرة العرب. وهذا الوضع بدوره جعل للإبل مكانة مرموقة في حركة التجارة البرية، الأمر الذي يبرر وجود رسوم الإبل وتواترها في مشاهد الرسوم الصخرية في ظفار.

والقيمة الاقتصادية والتجارية والمعنوية التي اكتسبتها الإبل من دورها المتميز في حياة سكان ظفار، عززها أن إقليم ظفار كان ومازال إلي يومنا هذا إقليما منتجا للإبل وبشكل كبير.

وبمعنى آخر إن ظفار كانت خلال تلك العصور التي اشرنا لها، إقليما منتجا لأهم أدوات نقل التجارة وسفر القوافل عبر المسافات الشاسعة والعسيرة.

سادسًا: الثقافة والرمزية

مما لا شك فيه، أن سكان الجزيرة العربية بأسرها ومنطقة الهلال الخصيب برمتها، وعبر الزمان وجدت في الإبل فوائد متعددة، اقتصادية ومادية وحياتية. وتطورت العلاقة بين الإنسان والإبل، بحيث أصبح الإنسان في هذه العلاقة لصيقا بالإبل، وعاشقا لها ولصفاتها ومقدراتها. وترتب علي هذا الارتباط الحميم أن أصحاب الإبل في الجزيرة العربية وغيرها من المناطق الجغرافية، صنعوا للإبل ثقافة خاصة بها، تميزها عن جميع الحيوانات المستأنسة الأخرى. وترتب على ذلك أيضا أن تخطى الاعتماد علي هذا الحيوان، والارتباط بفوائده المعاشية، إلي آفاق أرحب، أصبحت الإبل فيها رمزا للثروة ومعيارا اجتماعيا، ومن أهم أدوات البقاء والعيش في بيئة الجزيرة العربية الجافة. وخير دليل على ارتباط حياة الإنسان بالإبل في الجزيرة العربية والهلال الخصيب، ورود اسمها في جميع الكتب السماوية، إذ إنها جزء لا يتجزأ من بيئة تلك المجتمعات.وعليه فإن الرسوم الصخرية التي تصور الإبل بشكل مكثف في ظفار، لابد أن لها دلالة خاصة بذلك الإقليم في جنوب عمان، ومجتمعه ومعاشه في ذلك الزمان الذي خط فيه الفنان هذه الرسوم.

بالنظر إلي دور الإبل في ظل ظروف بيئية تميزها موارد طبيعية يشح فيها العطاء وفرة ويسرا، نجد ما يؤيد دورها ومكانتها في المجتمع التقليدي لأصحاب الإبل في إقليم ظفار. وهذه المعطيات بدورها تأتي سندا وتأكيدا لما رجحنا من حكم فيما تعكسه الرسوم الصخرية. وهذا الدور الذي تقوم به الإبل في حياة الإنسان، لابد أن له بعدا ثقافيا أخر زينها ودفع بها في مجتمع يتغنى بها شعرا ومدحا. إنها الثقافة التي صنعها الإنسان للإبل. فدراسة دور الإبل ومكانتها في المجتمع التقليدي في ظفار التي قام بها الماحي (قيد التنفيذ من ٢٠٠٩ - ٢٠١١م)، تشير إلى أن أصحاب الإبل قد رسموا ثقافة خاصة بالإبل. وهذه الثقافة منشؤها ودافعها ارتباط المجتمع واعتماد ه على هذا الحيوان، الذي تحول لنوع من الرباط العاطفي، وقيد من الوله والحب ياسر أصحابها طوعا واختيارا. فنجد أن المجتمع التقليدي المعاصر من أصحاب الإبل في ظفار، قد أبدع في وصفها بصفات الجمال وبمميزات نوعية كالقوة والقامة والطلعة البهية، وارتبط بها وجدانيا، وتغزل فيها شعرا ومدحا، وحفظ أنسابها وسلالاتها. وتؤكد دراسة رعاة الإبل التقليديون في ظفار (الماحي: قيد التنفيذ من ٢٠٠٩-٢٠١١م) بأن مكانة الإبل والرابط الوجداني الذي يجمعها بأصحابها، يجسده ما ذهب إليه العديد منهم بالقول بأن الإبل في موضع أولادهم وفي معزتهم.

وما يعزز ما ذهبنا إليه هو الأسماء التي يبتدعها الإنسان. فالإنسان له قدرة فطرية على تذوق الجمال والبهاء، و تأثيرهما عليه، والأمر الذي دفعه لصناعة بارعة لثقافة الأشياء من حوله. فالأسماء التي يسمي بها المجتمع أفراده من ذكور وإناث، والكائنات وجميع الأشياء التي حوله هي جزء لا يتجزأ من ثقافته وإبداعاتها. والمجتمعات تسمي حيواناتها بأسماء مختارة للتعرف عليها، وإبراز ما يميزها من سلوك أو شكل أو حتى إنتاجيتها. وكذلك تتخير لها من الأسماء وتسميها بها تيمنا بالخير وتفاؤلا بها. وعليه يطلق رعاة الإبل الأسماء الحسنة علي الإبل، ومناداتها بالأسماء المحببة إليهم وهي تعكس رؤيتهم لكل حيوان ومميزاته. ونختار مثالا من إقليم ظفار موضوع بحثنا، حيث نجد أن للإبل أسماء معروفة، وفي بعض الأحيان تتوارث الإبل هذه الأسماء. فأهل الإبل في المنطقة الوسطي التي يتوسطها جبل "قري" في إقليم ظفار، يتخيرون الأسماء لإبلهم. وهذه عينة من أسماء الإبل في المنطقة الوسطي بإقليم ظفار، شارحة لما ذهبنا إليه (الماحي: قيد التنفيذ من ٢٠٠٩-٢٠١١م).

أسماء محببة تعبر عن التفاؤل والخير	أسماء قوية تعبر عن القوة والشدة
طيب	قسي
ضحى	ضرقت
حرير	تومار
معجببت	مروكس
غزالة	أروهم
هنيت	مجنع
دمعة	هجلونت
عشم	أنخب
صغيرة	أبوسالم
فرحة	شوهار

هذه الثقافة وهذا الارتباط العاطفي الذي يربط أصحاب الإبل بحيواناتهم في بيئة جغرافية أثبتت فيها فعالية وقدرة عالية، لابد أنه قد دفع بالفنان القديم إلى رسم الإبل في مواضع صخرية كثيرة. والرسوم الصخرية في جوهرها تمثل أراء الفنان ومجتمعه، وثقافته وارتباطاته واستحسانه ومواضع فخره واعتزازه. ومن ناحية أخرى، يجب أن ينظر للرسوم الصخرية على أنها وسيلة من وسائل تخزين المعلومات وحفظها. وما يرسمه الفنان القديم هو بيانات مجتمعه وذاكرة المجموعة تثبيتا لها وحفظها والافتخار بها. فالفنان لا يصور ما يعيب مجتمعه أو ما يقلل من شانه أو ما يسيء إليه. والفن منذ القدم أضحى وسيلة لرمزية المجد والافتخار بين الشعوب التي بدأت تخزن رسما في سيرتها. ولن نذهب بعيدا في هذا المجال، بل نشير فقط هنا للوحات الفن التي أنتجتها وأبرزتها حضارات ما بين الرافدين ووادي النيل وغيرها من مراكز حضارات ما قبل التاريخ.

الخاتمة

توصل البحث بعد دراسة وتشخيص الرسوم الصخرية للإبل في ظفار لعدد من الأسباب يفسر بها كثافة وتواتر هذه الرسوم في المشهد الصخري بظفار. ويرجح البحث أن دلالات رسوم الإبل في ظفار تقوم على أسباب، دفعت بالفنان القديم إلى رسم الإبل. وما جعل اختيار الفنان القديم لهذه المشاهد، هو الحضور والقيمة والمكانة التي تحظى بها الإبل في مجتمعه. فأراد أن يوثقها في رسمه تعبيرا عن مجتمعه وثقافته واقتصاده وتواصله، وفوق هذا وذاك أدوات بقائه. والدلالات التي ذهب إليها البحث ترجيحا، وتحملها المشاهد الصخرية للإبل في ظفار، ويسندها ويدعمها حال مجتمع الرعي التقليدي في إقليم ظفار وممارساته. بل إن ما كشفت عنه دراسة ميدانية لكيفية إدارة الإبل وتربيتها في ذات الإقليم (الماحي: قيد التنفيذ من ٢٠٠٩-٢٠١١م) تجسد واقعية وبيان الأسباب التي ذهب إليها البحث في تشخيص رسوم الإبل الصخرية. ويمكن حصر هذه الدلالات التي حققتها دراسة الرسوم الصخرية وتشخيصها في الآتي:

١- الإبل إحدى أدوات البقاء في البيئات الجافة.

٢- للإبل أهمية الاقتصادية أصبحت مكون رأس المال والثروة.

٣- للإبل أهمية في حركة التجارة.

٤- للإبل أهمية في الاتصال البشري والتبادل الثقافي.

٥- للإبل ثقافة ومكانة وهي معيار اجتماعي.

هذا البحث ثاني نتائج مشروع البحث:
(Traditional Camel Management in Dhofar.IG/ART/ARCH/09/01)
الذي قامت جامعة السلطان قابوس بتمويله، فالشكر والتقدير لهذا الدعم المادي والأدبي.

الملاحق

خريطة ١: منطقة الدراسة

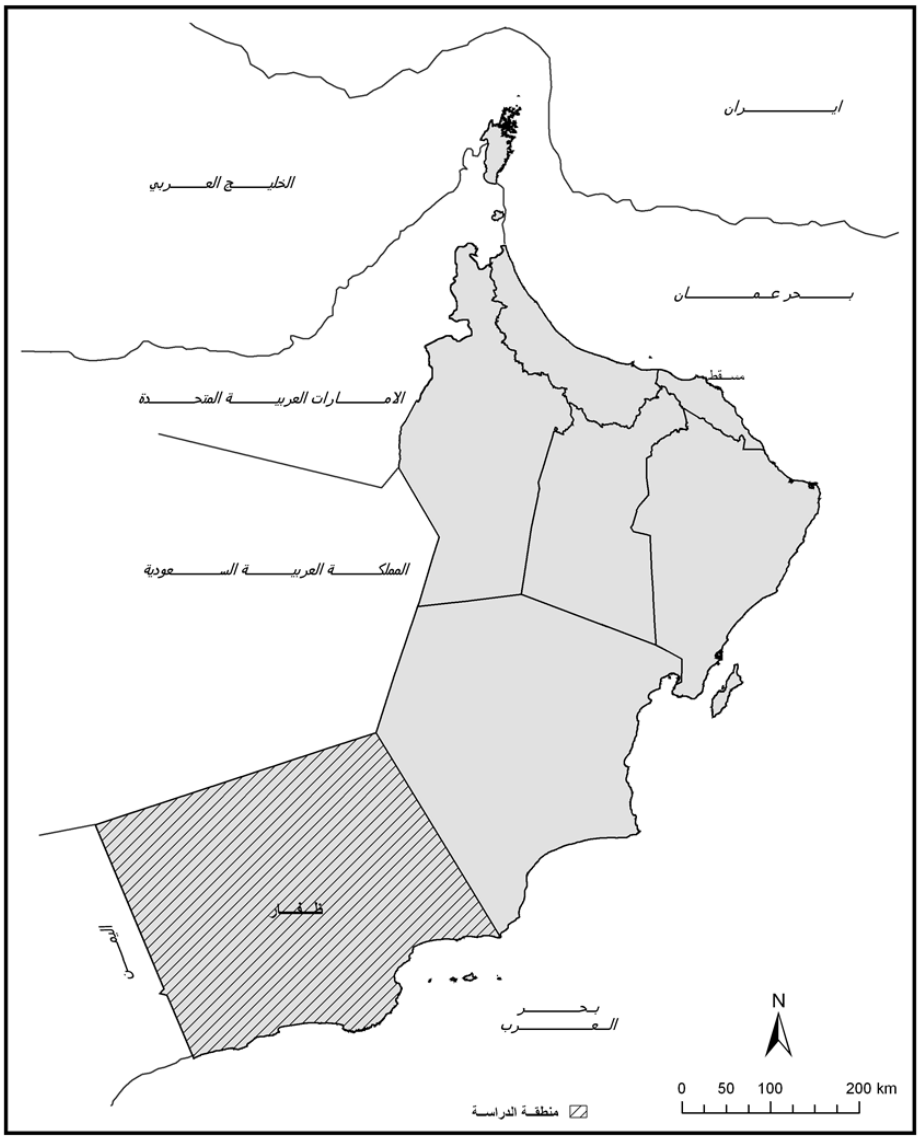

الشكل ١: رسوم الإبل في إقليم ظفار (الشحري ١٩٩٤)

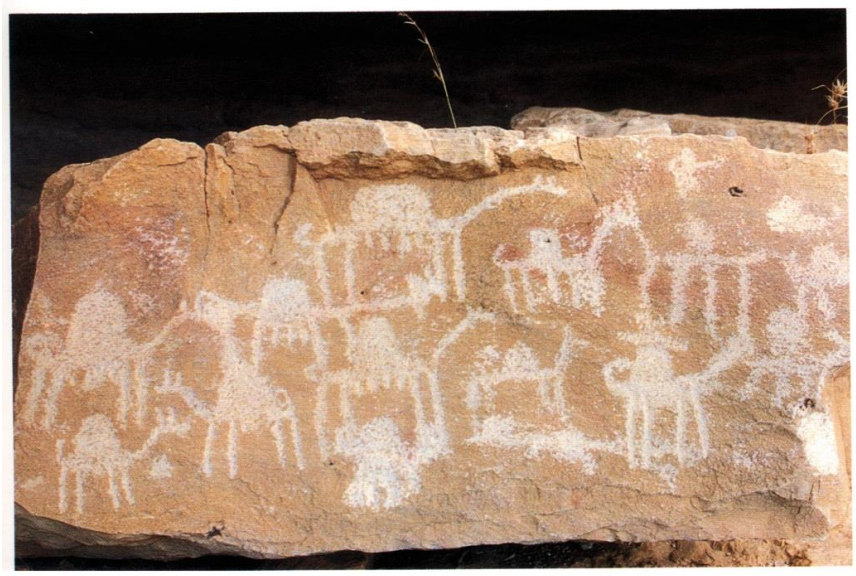

الشكل ٢: رجال على ظهور الإبل (الشحري ١٩٩٤)

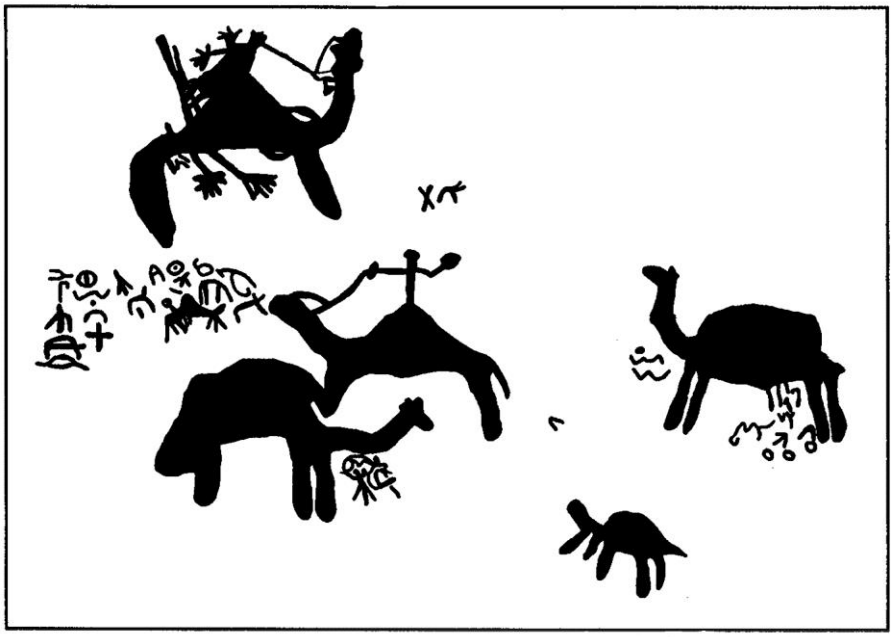

الشكل ٣: رجل يركب على ظهر إبل (الشحري ١٩٩٤)

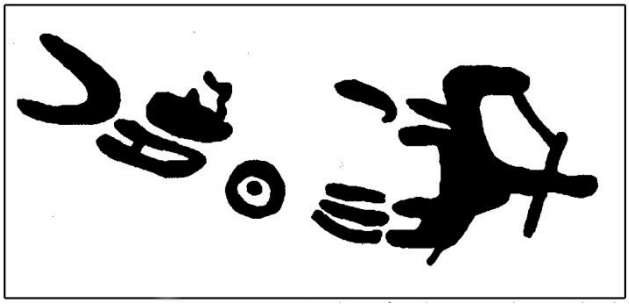

الشكل ٤: إبل تحمل أثقالا ومتاعا (الشحري ١٩٩٤)

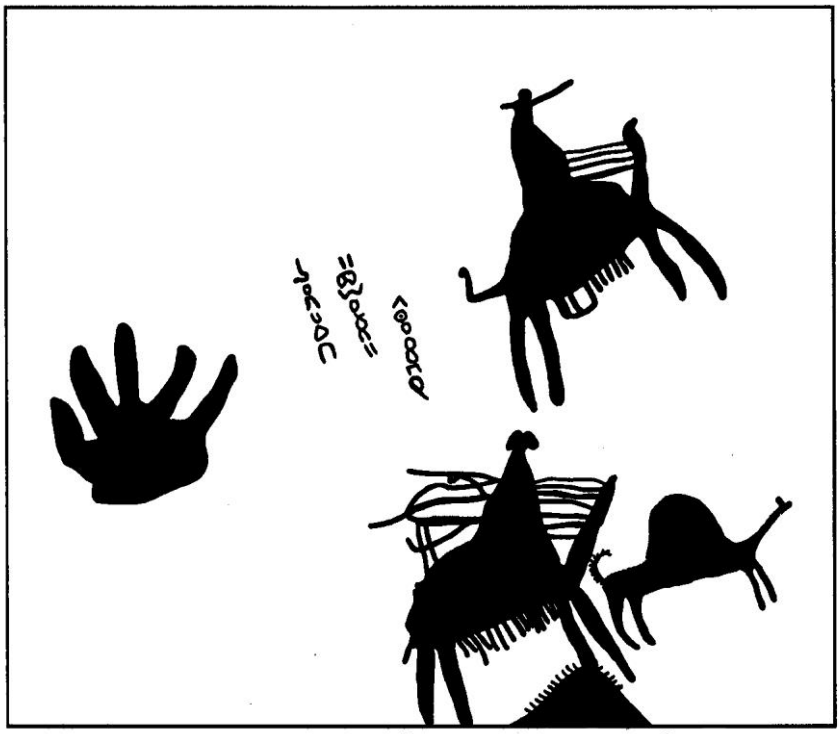

الشكل٥: صورة لإحدى الإبل من غير راكب (الشحري ١٩٩٤)

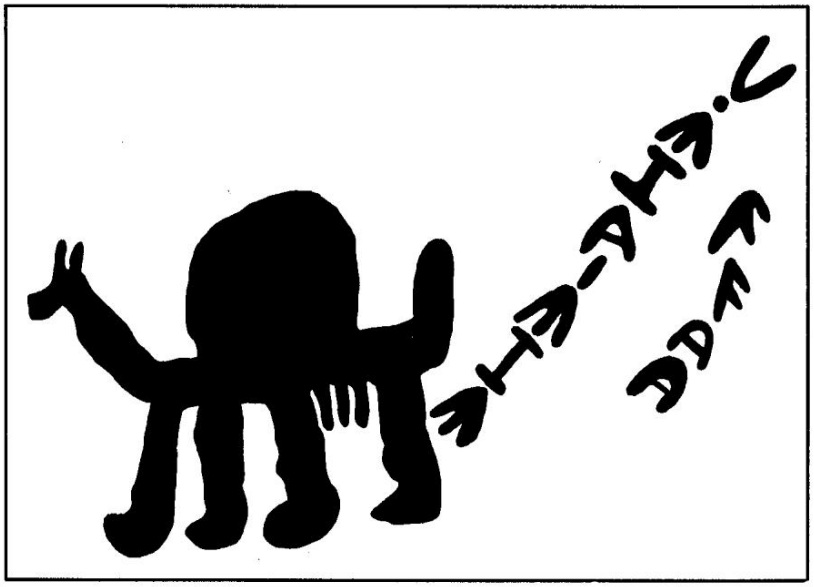

الشكل ٦: إبل مع حيوانات مستأنسة (الشحري ١٩٩٤)

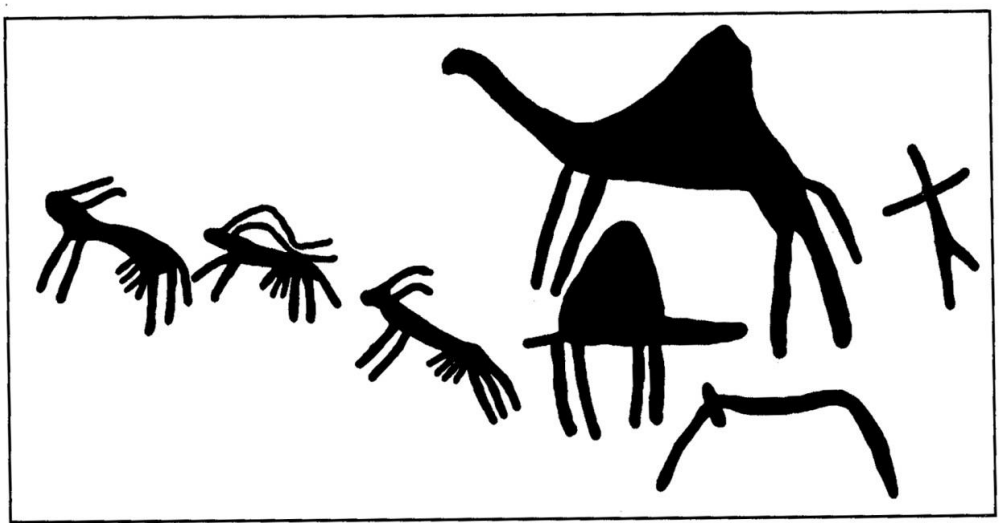

الشكل ٧: إبل مع حيوانات مستأنسة (الشحري ١٩٩٤)

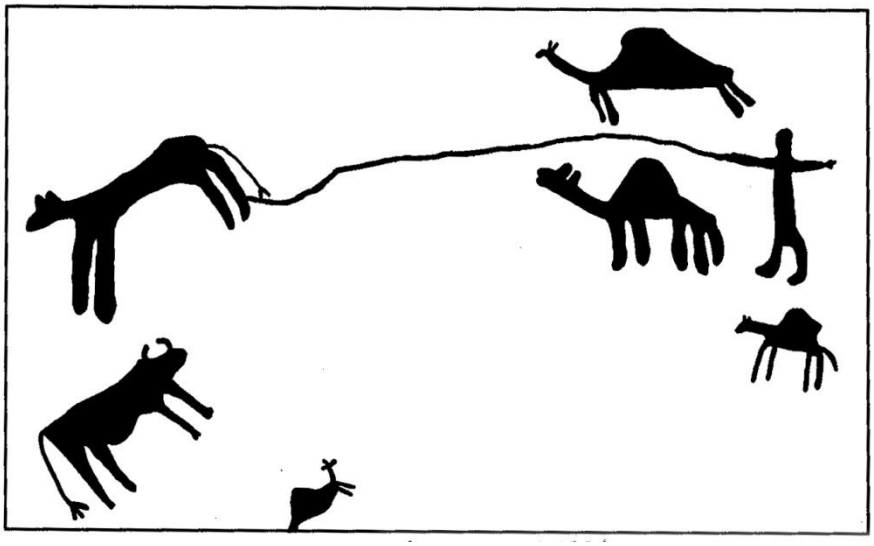

الشكل ٧: إبل مع حيوانات برية. كما يوجد نوع النقش أو الكتابة (الشحري ١٩٩٤)

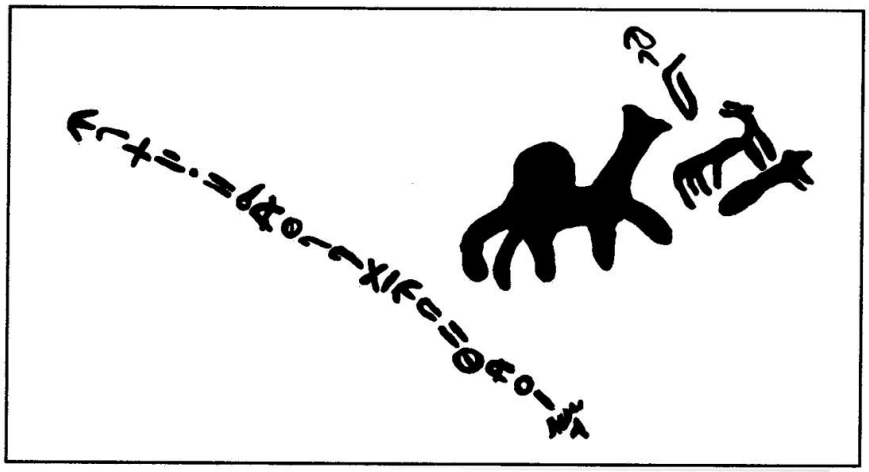

الشكل ٩: رجل على ظهر حصان.

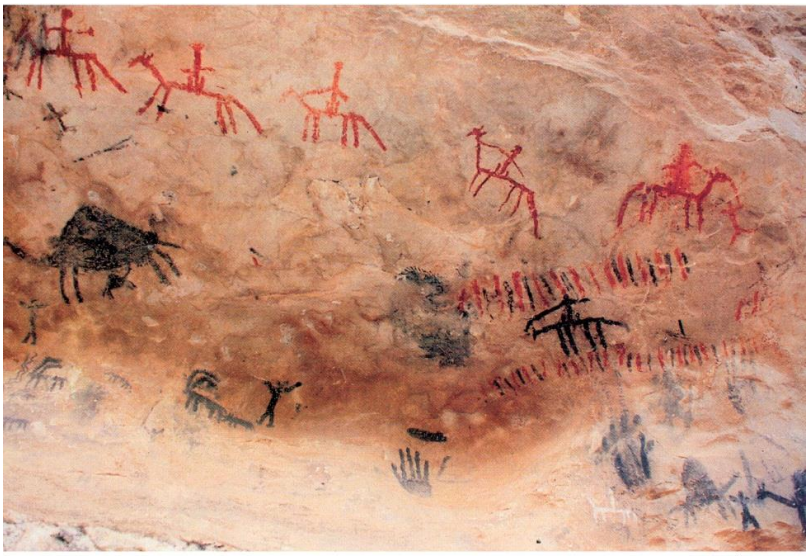

المراجع العربية

١. الحتي، حنا نصر ٢٠٠٧ الناقة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

٢. الشحري، على أحمد ١٩٩٤ ظفار كتاباتها ونقوشها القديمة الطبعة الأولى

٣. الماحي، علي التجاني (في الإعداد) In the absence of Camel Nomadic Pastoralism Archaeology in Dhofar, Oman. An Ethnoarchaeological Study Project no: IG/ART/ ARC/09/01 تحت التنفيذ من ٢٠٠٩- ٢٠١١م

٤. الماحي، علي التجاني ١٩٩٧ قراءة في الرسوم الصخرية في ظفار: بعض الصفات الإحيائية في رسوم الحيوان. ظفار عبر التاريخ، حصاد ندوة المنتدى الأدبي في صلالة. ص ١٩-٢٧.

٥. الماحي، علي التجاني ٢٠٠١ استئناس الحيوان والتحولات الإحيائية البيئية والاقتصادية الثقافية: فلسفة الدليل والاستنتاج. أدوماتو العدد الرابع، يوليو، ص ٢٧-٥٤.

٦. الماحي، علي التجاني ٢٠١٠ رسوم صيد الإبل في "قرية" الفاو بالمملكة العربية السعودية: قراءة ثانية.أدوماتو العدد الثاني والعشرون، يوليو، ص ٧- ٢٠.

٧. الماحي، علي التجاني ٢٠١٠ الرموز الثقافية في الرسومات الصخرية في عمان وإفريقيا: المقارنة والتشخيص مجلة الدراسات العمانية، العدد ١٦، ص ٤٣-٥٨، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.

٨. زرنس، يورس ١٩٩٩ ظفار أرض اللبان الدراسات الأثرية الميدانية في سلطنة عمان ، ترجمة معاوية إبراهيم وعلي التجاني الماحي، سلطنة عمان

References

1. Beech. M.; Mashkour, M.; Huels, M. and Zazzo, A. 2009. Prehistoric camels in south-eastern Arabia: the discovery of a new site in Abu Dhabi› western Region, United Arab Emirates. Proceedings of the Seminar for Arabian Studies. Vol. 39, pp.17-30.
2. Compagnoni, B. and Tosi, M. 1978. The camel: its distribution and state of domestication in the

Middle East during the third millennium BC in the light of finds from Shahr-i Sokha. Peabody Museum Bulletin No.2:91-103. Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, Harvard University.
3. Driesch, A.V. D; Bruckner, H. Obermaier, Zander, A. 2008. The hunt for wild dromedaries at the United Arab Emirates coast during the 3rd and 2nd millennia BC. Camel bones from the excavations at Al Sufouh 2, Dubai, UAE.Archaeozoology of the Near East VIII, pp. 147-497. TMO 49, Maison de l'Orient et de la Méditerranée, Lyon.
4. ElMahi, A.T. 2011. Traditional Goat Management in Dhofar and the Desert, Oman: An Ethnoarchaeological Study. Sultan Qaboos University
5. ELMahi, A.T. and M. Ibrahim 2003 Two seasons of investigations at Manal site in the Wadi Samayil area, Sultanate of Oman. Proceedings of the Seminar of Arabian Studies, vol. 33, Archaepress, Oxford.
6. ElMahi, A.T. 2000a. The Ibex Hunt in the Rock Art of Oman New Arabian Studies, pp. 33-46 .
7. ElMahi, A.T. 2000b. The Ostrich in the Rock Art of Oman.Adumatu, July pp. 15-26.
8. ElMahi, A.T. 2001. Traditional Dhofari Pastoral groups in Oman: A parallel for ancient Cultural Ecology.Proceedings of the Seminar of Arabian Studies, vol. 31, pp. 131-141 BREPOLS.
9. Grigson, C. 1983. A very large camel from the Upper Pleistocene of the Negev Desert. Journal of Archaeological Science, vol. 10, pp. 311-316.
10. Macdonald, M.C.A. 1996. «Hunting, Fighting and Raiding: The Horse». In: Alexander D., (ed.) Furusiyya, p.73. Riyadh, KSA.
11. Klee, P. 1958. Inward Vision in The concise Oxford Dictionary of Quotations. 189:8 Oxford University Press.
12. Ripinsky, M. 1975. The camel in ancient Arabia Antiquity 49, pp. 295-8.
13. Smith, P. 1968. Problems and possibilities of the prehistoric Rock Art North Africa. African Historical Studies. vol. 1.1: 1-39.
14. Uerpmann H.-P. & Uerpmann M. 2002. The Appearance of the Domestic Camel in South-east Arabia. The Journal of Oman Studies 12: 235–260.
15. Yule, P. & Weisgerber, G. 1988. Excavation of the Pre-Islamic Cemeteries: Preliminary Report 1988. Selbstverlag des Deutschen Bergbau-Museums, Bochum: Germany.
16. Zarins, J. 1989. Pastoralism in southwest Asia: the second Millennium BC. in The Walking Larder. Ed. J- Clutton-Brock. pp. 125-1551. UNWIN HYMAN, London.
17. Zarins, J. 2001. Dhofar the land of Incense (Ed.) M. Ibrahim, A. Tigani ElMahi and J. Own.
18. Zarins, J. 1978. The camel in ancient Arabia: a further note Antiquity, vol. 52, pp. 44-46.